بحث مقدم الى ندوة الجغرافيا وحوار الحضارات بقسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة الاسكندرية (ندوة الاستاذ الدكتور خميس الزوكة) 30 يوليو2006 ومنشور بكتاب المؤتمر

الاستخدامات غير الصحية لأسطح المنازل
دراسة في الأيكولوجيا الصحية

د / محمد نور الدين ابراهيم السبعاوي
أستاذ الجغرافيا المساعد كلية الآداب جامعة المنيا

مقدمة

تركز معظم الدراسات الجغرافية التي تهتم بدراسة البيئة الحضرية والريفية على اتباع ثلاثة محاور في البحث ، الأول كما يذكره هارولد ماير أحد الرواد الأوائل في مجال دراسات جغرافية الحضر يتناول علاقات الموضع بالموقع ضمن إطار عام يشمل العلاقات القائمة بين المدينة وبقية المدن ، أما المسلك الثاني فيتضمن التركيب الداخلي المرتبط بشكل المدينة وتركيبها ووظيفتها والأنشطة التي تقوم بها وتباين كثافات استخدام الأرض بها وحركة التفاعل اليومي داخل المدينة ، أما المسلك الثالث كما يراه روبرت ديكنسون فيهتم بالتخطيط الحضري والإقليمي (عبد الإله أبو عياش- 1980-20). وفيه يدرس شكل المسكن وتركيبه الداخلي.

ولكن نادرا ما اهتمت هذه الدراسات داخل أحد هذه الإطارات بدراسة استغلال أسطح المساكن والآثار المترتبة عليها، بالرغم من أنها تمثل امتدادا لمساحة تساوي مساحة الأرض المقام عليها البناء من ناحية ،كما تمثل من الناحية الجغرافية شكلا من أشكال الاستغلال التي تختلف من بيئة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر ، فلو حسن استغلالها جيدا سيكون لذلك انعكاس على الحالة الصحية والنفسية للسكان ، ، فالمسكن ليس فراغا للمأوى أو حوائط تحيط بالإنسان لحمايته من الطبيعة فحسب،بل يعد جزءا لا يتجزأ من تراث وحضارة المجتمع (أحمد منير - 1996 -34).

وقد يُنظر للموضوع بعدم الاهتمام ، فالبعض لا يرى أسطح المساكن المجاورة لهم لسكنهم في الأدوار السفلى ، والبعض الآخر لا يراها في المناطق التي تتساوى فيها ارتفاعات المباني كما هو الحال في المدن الجديدة المخططة ، حيث تغلق أسطحها أمام ساكنيها للمحافظة على النظام العام ، ولكن هذه الحالات لا تنطبق على غالبية السكان الذين يتضررون صحيا ونفسيا من الاستخدام السيئ لأسطح المباني خاصة في مدن دول العالم الثالث التي تفتقر إلى هندسة التنظيم ويكتظ فيها السكان وترتفع كثافتهم وتتدرج ارتفاعات المباني من الدور الواحد إلي عدة أدوار بلا نظام أو خطة. ويعاني من المشكلة قطاع من السكان في المدن والقرى بأضرارها المادية المتمثلة في الاستغلال السيئ لهذه الأسطح أو أضرارها المعنوية المتمثلة في التلوث البصري الذي ينعكس بآثار نفسية على المرء على المدى الطويل، لذا فإنه من الضروري دراسة هذه الأبعاد لأنها تمثل نمطا من أنماط السلوك المرتبط بالعلاقة بين الإنسان والأرض والتي تنعكس آثاره السلبية على السكان مباشرة ويمكن أن يكون لها من التأثيرات الإيجابية عليهم لو حسن استغلالها ،كما سيتضح من هذه الدراسة.

نتائج البحث

تناولت هذه الدراسة الأوجه المختلفة لمثالب استخدام أسطح المنازل في الريف والحضر، وكشفت إلى حد ما الأسباب الكثيرة التي تدفع بالسكان إلى إساءة استخدام هذه الأسطح ، تلك التي ترتبط بعدد من العوامل الطبيعية المتمثلة في التركيب الصخرى والبناء الجيولوجي الذي يحدد إلى حد كبير أشكال البناء ومادة استخدم أسطحه وجدران المباني ، كما تبين من الدراسة أثر الموقع الجغرافي والطقس في نوع الزراعات التي يعتمد عليها السكان واستخدام نواتجها العرضية في تشييد أسقف مساكنهم ومنها الأرز والقطن والذرة والنخيل بما يتسبب في كثير من المشكلات منها نمو الحشرات وتكاثر القوارض والحيوانات المنزلية كالقطط، كما تكون سببا في اندلا ع الحرائق خاصة في الريف المصري، حيث تستخدم هذه المواد كوقود حيوي ، كما تبين من الدراسة أن للمستوى المعيشي أثره في أنماط استغلال الأسطح ، فالفقراء يحتفظون على أسطح مساكنهم بأشياء بسيطة لا قيمة لها لاستخدامها فيما بعد ، بما يؤثر على الشكل الجمالي للأسطح التي يلاحظ احتوائها على مخلفات منزلية من كل نوع تسبب تنافرا وتباينا ، وتعكس شكلا من أشكال الفقر والتخلف ، ونمطا يطلق عليه عبودية الكراكيب ، كما يؤثر المستوى التعليمي والوظيفي بدوره في ذلك ، فالمرأة العاملة لا تحتفظ كثيرا بأشياء على الأسطح لاستخدامها ، فليس لديها الوقت لتصنيع الخبز المنزلي ، أو تربية الدواجن الذي يشاهد بكثرة في المناطق الريفية والفقيرة ، حيث يحتفظ السكان بالوقود الحيوى وروث الحيوانات لاستخدامها كوقود لصنع الخبز وإنضاج الطعام في مواقد معدة لهذا الغرض ، كما تستغل أسطح المنازل في إقامة خزانات المياه وتركيب أطباق الأقمار الصناعية التي يكثر تواجدها في المناطق الحضرية ، بينما يكثر في المناطق الريفية إقامة عشش الطيور وأبراج الحمام والأفران البلدية ومنشر الغسيل .

والدراسة تقدم نمطا من الأنماط السلوكية للإنسان في البيئات الجغرافية المتباينة ، التي تعكس أشكالا من مستوى المعيشة والظروف الجغرافية والفقر ، كما تقدم حلولا لهذه الظاهرة تتمثل في تشجع استغلال هذه الأسطح في تنمية الشتلات الزراعية ، وجعلها حدائق معلقة ، كما يمكن استغلالها في تنمية الثروة السمكية من خلال أحواض مائية خاصة تساعد في الحصول على مصدر بروتيني غنى ، وتوفر دخلا ثابتا للأسرة ، وتوفر أيدى عاملة منتجة ، كما تحث هذه الدراسة الجهات المعنية بالحكم المحلي وتخطيط المدن على القيام بدورهم المنوط بهم من حيث الاهتمام بالشكل الجمالي للمدن والمحافظة على التناسق اللوني وارتفاعات المباني والطرز المعمارية من أجل تنمية الإحساس بروح الجمال في النشء ، كي ينمو الأطفال في بيئة صحية سليمة خالية من التلوث البصري .